تجليات الانقرائية في الأنساق اللغوية
(قراءة في الوظائف اللسانية والبيونورولوجية)

The readability manifestations in linguistic systems
(Lecture in linguistic and bio-neurologic functions)

د. فريدة رمضاني[1]

[1] جامعة لونيسي علي-البليدة2- (الجزائر)، f.ramdani@univ-blida2.dz

تاريخ الاستلام: 2023/9/3 تاريخ القبول: 2024/1/7 تاريخ النشر: 2024/3/31

ملخص: لقد ألمح الكثير من الباحثين الغربيين إلى تجليات الانقرائية في الأنساق اللغوية لكن في لغاتهم التي ينطقون بها؛ وقد حاولوا الإحاطة بكل جوانبها العلمية والمعرفية بل قطعوا أشواطا طويلة في هذا المجال حيث أصبحت تلك الأنساق تقاس وفق معادلات معقدة ليس من السهل إدراكها؛ في حين نجد مفهوم الانقرائية وقراءة الأنساق اللغوية في الوطن العربي تعالج في أطر ضيقة وبسيطة للغاية لهذا سنحاول في هذه الورقة العلمية البحث عن تجليات الانقرائية لنسق اللغة العربية وهذا بغية الارتقاء بها من خلال توصيف نصوصها والكشف عن وظائفها اللسانية والبيونورولوجية.

الكلمات المفتاحية: الانقرائية ؛ بيونورولوجية ؛ الأنساق اللغوية ؛ الوظائف ؛ الوظائف اللسانية.

Abstract : Many western researchers have alluded to the readability manifestation in linguistic systems but in their languages, and they tried to brief all its scientific and cognitive aspect sciences but rather they've made long strides in this field, where those systems become measured according to complex equations that are not easy to grasp while we find the concept of readability and linguistic systems lectures in the Arabe world processed in tight and very simple frames, that is why in this scientific paper we will try to find the readability manifestations to the Arabic language system that for upgrading them through descriptions of their texts and unraveling of its linguistic and bio-neurological functions .

Keywords: Readability; bio-neurological; linguistic systems; functions; linguistic function.

المؤلف المرسل: د. فريدة رمضاني،

1. مقدمة:

تعد الانقرائية واحدة من بين الموضوعات التي تعرضت لدراسة مستفيظة في السنوات الثلاث الأخيرة؛ وهي من المفاهيم التي حازت نصيبا من الدراسة في الدول الغربية خاصة في اللغة الإنجليزية غير أنها في المجتمعات العربية بقيت تراوح مكانها نظرا لعدة عوامل منها العوامل السياسية والإيديولوجية والثقافية؛ وبما أن الأنساق اللغوية وتداوليتها هي أهم عنصر من عناصر التطور والتقدم في جميع المجالات فإن الكثير من الدول آلت هذا الجانب اهتماما منقطع النظير خاصة إذا ما علمنا أن أكثر الأنساق اللغوية دلالة هي اللغة العربية التي تتبوأ مكانة سامقة في الكثير من الدول الآسياوية فهي تحتل المرتبة الثانية بعد اللغة الإنجليزية من حيث الانتشار في العالم؛ الأمر الذي جعلها تعتلي جميع الأنساق المعرفية واللغوية وهذا راجع إلى طبيعتها الصوتية المتوازية وقوامها المورفولوجي الموزون وكذا خصائصها التركيبية ذات الصبغة الرياضية.

إن تجليات الانقرائية تظهر بشكل جلي في نسق اللغة العربية التي تعد النسق الأكثر انتشارا في المجتمعات العربية وهي ما نحاول البحث فيه في هذه الدراسة خاصة إذا ما علمنا أنها النسق الثقافي والسوسيولغوي الغالب في الكثير من البلاد العربية باعتبارها اللغة الأولى في التعليم والنسيج السيوسيولغوي الذي يعول عليه على الرغم من وجود لغات أخرى تزاحم العربية مثل الفرنسية واللغة الأمازيغية في المغرب العربي إلا أن نسبة المعربين تمثل قدرا هاما في هذه البيئة.

إن الأخذ بسبل الريادة للغة العربية حقيق أن يلتفت إليه من المنظور البيونورولوجي للعلوم المعرفية التي تستند إلى العديد من الأطر الابستيمولوجية التي تتناول أنساق اللغة من خلال البحث في هندستها الداخلية وما ترتبط به من العوالم الخارجية سواء كانت اجتماعية أو ثقافية أو اقتصادية...إلخ؛ والهدف من هذا البحث هو الوقوف على تلكم الوظائف التي تؤثر على تجليات الأنساق اللغوية التي تسهم في انقرائية اللغة العربية باعتبارها مشروعا حضاريا متشعب المنافذ لا سيما إذا ما ربطناها بالقارئ غير العربي عبر الحمولات الإثنوسوسيولغوية من خلال إعطائها بعدا أعمق من التواصل ودورا أبلغ من التأثير إذ يتوقع البحث في آليات وسبل الارتقاء بهذه اللغة السيطرة على عقبات حوسبتها وصعوبات تعليمها وتعلمها.

ومما يثار من إشكاليات بخصوص هذا البحث هو: ما تجليات الانقرائية في أنساق اللغة العربية؟ وما الوظائف البيونورولوجية التي تؤثر في انقرائتها؟ ثم هل تتباين المنظورات اللسانية والبيونورولوجية لانقرائية اللغة العربية؟

وانطلاقا من معاينة الاختلافات بين اللغات من حيث انقرائية اللغة العربية يفترض بحثنا هذا وجود وظائف بيونورولوجية كثيرة تتداخل فيها المناويل اللغوية بالمناويل البينية التي يكاد الاستغناء عنها شبه مستحيل نظرا لتقاطع العلوم والظواهر اللغوية التي ليست بمنأى عن ذلك؛ واللغة العربية بأنساقها ومقولاتها تتداخل في معالجتها العديد من العلوم ذات الطابع الإجرائي التطبيقي لا سيما ما تعلق منها بمفهوم الانقرائية.

2.مفهوم الانقرائية:

انطلاقا من قرائتنا البسيطة لمفهوم الانقرائية تجلت لنا العديد من الخلفيات والمرجعيات لهذا التصور وهذا له مبرره من الوجهة النظرية: منها ورود الانقرائية في أكثر من حقل معرفي وكذا الاستخدامات المتباينة له من مجال إلى آخر، غير أن ما ينبغي التأكيد عليه في هذا البحث هو المفهوم البيني الذي تتقاطع فيه العلوم لتحقق لنا الدلالة المعرفية للانقرائية.

مفهوم الانقرائية مأخوذ من اللفظ الأجنبي readability وقد ورد في قاموس ويبستر الموسوعي وهو قاموس موجز للغة الإنجليزية حيث وصفت بالوضوح والانقرائية legibility؛ يقول إدغار دال Edgar Dale الانقرائية هي كل ما هو:" سهل للقراءة؛ المثير للاهتمام والمتعة وهذا ما يسمح بالتعرف على المقروء" (Edgar, 1949, p. 1) وإن دل هذا فإنما يدل على أن الفهم والاستيعاب عنصران أساسيان لا ينفكان عن قراءة أي نص مهما كان نوعه أو شكله وهو تفسير مقبول من الوجهة الإدراكية.

وإن كانت الانقرائية تطلق على معان عديدة إلا أنها في نهاية الأمر تتقاطع مع مفهوم الكتابة بطريقة أو بأخرى فتعني تارة وضوح الطباعة وتارة وضوح النص المقروء وهو ما لا يراه بعض المتخصصين في القراءة صحيحا إذ الانقرائية ليست مجرد فهم مضمون النص أو الرموز المكتوبة أو هي:" الفهم الجيد للمعلومات

المطبوعة" (بوزان، 2007، صفحة 46) بل هي بالإضافة إلى ذلك تتضمن مجموعة من الخطوات منها: (بوزان، كتاب القراءة السريعة، 2007، الصفحات 46–47)

1–**المعرفة:** وهي المعرفة بالرموز والحروف الهجائية وتبدأ هذه الخطوة قبل عملية القراءة الطبيعية.

2–**الاستيعاب الجيد:** وهي العملية المادية التي من خلالها ينعكس الضوء من الكلمة وتستقبله العين، ثم يتحول عبر العصب إلى المخ.

3–**التكامل الداخلي:** وهو مرادف للفهم الأساسي، و الذي يشير إلى الربط بين كل أجزاء المعلومات المقروءة مع الأجزاء المناسبة.

4–**التكامل الخارجي:** وهي العملية التي تسترجع بواسطتها كل المعارف السابقة للنص المقروء وإتمام الربط الملائم فيما بينها، وتحليلها، ونقدها وتقدير قيمتها، والاختيار أو الرفض.

5–**القدرة على التذكر:** وهي التخزين الأساسي للمعلومات، فقد خاض معظمنا تجربة الدخول إلى قاعة الامتحان، وهو يخزن معظم المعلومات المطلوب منه استرجاعها خلال ساعتين من الزمن ولكنه لا يتذكرها: إلا عند مغادرة الامتحان ومن ثمة فإن تخزين المعلومات وحده غير كاف بل لابد أن يصاحبه الاستدعاء.

6–**الاستدعاء:** القدرة على استعادة المعلومة المخزونة عند الحاجة إليها.

7–**الاتصال:** الاستخدام الذي يتم فيه وضع المعلومات التي تتضمن التفكير.

وبهذا يرتسم مفهوم الانقرائية في كل تلك العناصر التي أجملها "توني بوزان" والحقيقة أن الانقرائية عملية في غاية التعقيد وترجمة المخ لها أعقد من ذلك بكثير ذلك أن قارئ النص يقوم بتفكيكه وإعادة بنائه على ضوء خبراته وتجاربه السابقة مثلما أشار إليه رواد الحقل المعرفي في علم النفس؛ وهذا تأكيد آخر يوضح بشكل دقيق ارتباط اللغة بالعقل.

3.انقرائية الأنساق اللغوية:

1.3. تجليات انقرائية النصوص باللغة العربية:

لن نتطرق في هذا العنصر إلى مختلف التعريفات التي ذكرت النص من الوجهة اللغوية وإنما سنكتفي بالنظر إلى ما آل إليه التصور من منظور مفهوم الانقرائية فالنص هو:" خطاب أثبتته الكتابة،" (ريكور، من النص إلى الفعل أبحاث التأويل،

2001، صفحة 102) ومن ناحية أخرى، يمثل وحدة تشكل:" سلسلة من الملفوظات المترابطة التي يستدعي بعضها الآخر، أو من متتاليات متنافرة: سردية، وصفية، برهانية، تفسيرية...إلا أنها تتعاضد وظيفيا لتحقق بنيته الدلالية الكبرى (أي رسالته) ويوصف بالتماسك والوحدة والصلابة، ويعتبر نوعا من نظام شمسي يجذب إلى مداره كل عناصره." (أيوب، التعبير منهجيته و تقنياته، 2000، صفحة 37)

يعتبر النص النواة الأساسية لأي نسق لغوي في أي لغة من اللغات فهو يمثل مجموعة من العناصر والوحدات التي تشكل أسوار اللغة وتمثلاتها في ذهن القارئ الذي يعول عليه في التأويل والتفسير؛ وبالنظر إلى الأدوات والآليات التي يبنى بها النص فإنه يضطلع بدور محوري في فهم واستعمال اللغة أيا كانت خصائصها النسقية.

2.3. نسق النصوص في اللغة العربية:

اللغة العربية من اللغات الطبيعية؛ فهي بمثابة الآلة التي يستخدمها النساج لإنتاج القماش من خيوط النير وخيوط السداء؛ إنها قادرة على نسج النصوص بمختلف الأشكال والألوان وبكفاءة لا تقل عن نظيراتها من اللغات العالمية، فمن خصوصياتها الإيجاز والاقتصاد والتوليد والاشتقاق...إلخ، ولولا ذلك لما استطاعت الثبات في وجه التغيرات التاريخية التي طالت الكثير من اللغات الغربية:" إن اللغة العربية الفصحى هي اللغة الوحيدة بين جميع لغات العالم التي "استمرت ثابتة" منذ أكثر من أربعة عشر قرنا، ولم يطرأ عليها أي تبديل، أو تحريف، أو زيادة، أو نقص، أو تغيير، وهذا شيء "نادر في تاريخ اللغات." (البه، 1994، صفحة 145)

وما دام نسق النصوص في اللغة العربية يقوم على مجموعة من الأوليات البنائية التي تشكل الغرافيمات أحد عناصرها فإنه من الأهمية ذكر محاسنها:" وإذا جاز لنا أن نعد خصوصية البنية المبصرة للكتابة العربية خصوصية واضحة المعالم، فإن جورج جونGeorges Jean يعتبر قدرة الكتابة العربية على إظهار صورة الحرف في تشكيلات متنوعة "عبقرية" مميزة لهذه الكتابة (James, 1995, p. 58) التي هي عماد النسق النصي والأساس الذي يمكن القارئ من تفكيك شفراته و بناء تصوراته.

3.3.انقرائية أنساق اللغة العربية بين القارئ و النص:

بناء على أن انقرائية الأنساق اللغوية قائمة على مستعمليها فإنه كما يبدو؛ ليست بعيدة عن القارئ الذي يملك قدرات فائقة على الفهم والاستيعاب العميق لأبعادها، ومن هذا المنظور تكون الانقرائية مرتبطة بلغة النص وطبيعته من الإنتاج إلى الإخراج كما ترتبط بالقارئ وميولاته وخبراته ودوافعه ومعارفه السابقة وتمثلاته الاجتماعية والثقافية، وعليه أي نقص يعتري النص فإن نسبة الانقرائية ستكون محدودة لدى القارئ لاسيما إن كان يعاني من ضعف التركيز الذي قد يعود إلى:" صعوبة المفردات المستخدمة في النص المقروء، أو صعوبة إدراك الأفكار المعروضة، أو عدم ملائمة سرعة القراءة، أو الحالة الذهنية غير الملائمة أثناء القراءة، أو سوء التنظيم، أو فقدان الاهتمام أو الدافع." (بوزان، كتاب القراءة السريعة، 2007، صفحة 197)

إن تجليات انقرائية اللغة العربية مرتبطة بالإضافة إلى قدرات القارئ (Reader abilities) بنوع الخط الذي كتب به النص وهي مسألة في غاية الأهمية فالخط:" المريح للعين راحة للنظام العقلي والبصري يساعد على الاستيعاب" (بوزان، كتاب القراءة السريعة، 2007، صفحة 290) والفهم التام للمقروء؛ وعلى الأرجح أن الخط العربي جميل بل بديع في نظمه راق في محتوياته ولا أسمى مما كتب وخط به القرآن الكريم.

4. الوظائف البيونورولوجية و أثرها في انقرائية أنساق اللغة العربية:

تضطلع انقرائية أنساق اللغة العربية على العديد من الوظائف البيونورولوجية التي نجملها فيما يلي:

1.4.الوظائف اللسانية الغرافولوجية:

اعتنى الغرافولوجيون عناية شديدة بأنساق اللغة العربية وانقرائيتها، وكان هدفهم هو توضيح إشكاليات الكتابة والعمل على تيسيرها ولذلك اهتموا بما يعرف بالجرافيم:" وهو أصغر وحدة لغوية كتابية في جميع اللغات، كما تعرف الحروف الأبجدية الهجائية اللغوية

باسم "الجرافيمات" وترتبط الجرافيمات مع بعضها في "تنوعات لا نهائية" لتشكل" الكلمات المكتوبة" لأي لغة من اللغات." (البيه، أطلس أصوات اللغة العربية، 1994، صفحة 140)

ورغم أن الجرافيمات تنماز من نسق لغة إلى أخرى، إلا أنه قد يهيئ لمن لا يعرف الطبيعة اللسانية والغرافولوجية للغة العربية أنها صعبة من حيث انقرائية أنساقها اللغوية؛ على اعتبار أن:" النص العربي عرضة لأن يقرأ قراءات متعددة بعيدة عن الفصحى"، (مالك، مشكلة الخط العربي، 1994، صفحة 153) أو انطلاقا من تعدد صور الغرافيمات فيرى ممن استأنس بهذا الرأي أن:" صورة بعض الحروف تشتبه بصور بعضها الآخر وليس هناك ما يميز صورة من صورة إلا بالإعجام أو الإهمال، أو بعدد النقط كالتشابه بين الباء والتاء والثاء..."[12] (مالك آ.، مشكلة الخط العربي، 1994، صفحة 155) بل أكثر من ذلك حاول بعضهم استبدال هذه الحروف بالكتابة اللاتينية التي هي في الأصل تعاني من مشكل الانقرائية وهنا ينبغي أن نشير إلى أن:" هذه "الأشكال الكتابية" التي تسمى "الحروف الكتابية أو الجرافيمات"، تعتبر "ثانوية" بالنسبة إلى رموز الكلام المنطوقة أو الملفوظة، التي تسمى "الحروف الصوتية اللغوية أو أصوات الفونيمات"، أي أن "الأشكال الكتابية" هي " رموز الرموز".(البيه، أطلس أصوات اللغة العربية، 1994، صفحة 154)

إن القول بأن الجرافيمات في أنساق اللغة العربية تحتاج إلى تعديل أو إلى إعادة النظر هو طعن في طريقة التفكير أيضا:" إن الكتابة رمز للواقع الذي تسعى إلى تقديمه، فامتلاك الملفوظ امتلاك للعالم، و الكتابات الأولى لم تكن تطمح فقط إلى ترجمة الأصوات، ولكنها كانت تطمح إلى التصرف في العالم من أجل إعادة بنائه، وهذا ما يوضح لنا لماذا لم تكن الكتابة في حالات عديدة وسيلة نقل فقط، بل أيضا وسيلة تعبير." (ربه، العقد الفريد، 1944، صفحة 191)

يحسن أن ننبه هنا إلى اهتمام العرب الأوائل بشأن انقرائية الحروف في اللغة العربية ولا أصدق مما جاء على لسانهم من دحض لكل الادعاءات التي تقدمت فقد اعتنوا بالخط مثلما اعتنوا بالفكرة فهو عندهم:" أحد اللسانين، وهو المخاطب للعيون بسرائر القلوب، على لغات مختلفة، ومن معان معقودة، بحروف معلومة، متباينات الصور، مختلفات

الجهات، لقاحها التفكير ، ونتاجها التدبير ، تخرس منفردات، وتنطق مزدوجات، بلا أصوات مسموعة، ولا ألسن محدودة، ولا حركات ظاهرة، خلا قلم حرف باريه قطته ليعلق المداد به،"[15]ولم يكتف المتشككون في قصور الكتابة العربية بل راحوا أبعد من ذلك، وهم يريدون النيل منها إلا أن تميزها ضرب كل الظنون عرض الحائط ولا شك أن اللغة العربية ثرية من حيث الثروة الإفرادية والفضل في ذلك يرجع إلى أنها تتكون من:" 42 فونيما، في حين أن عدد حروفها الأبجدية الهجائية تتكون من 28 جرافيما" (البيه، أطلس أصوات اللغة العربية، صفحة 1451) وعليه من نادى باستبدال حروفها بغيرها قد ظل السبيل.

2.4.الوظائف الإدراكية البصرية:

ليس غريبا أن نتحدث عن الوظائف الإدراكية البصرية لانقرائية أنساق اللغة العربية فهي مرتبطة بها أشد الارتباط؛ ولأن الحديث عن الجوانب الإدراكية شيق وطويل فإننا سنقتصر على ما تعلق منها بالنص المقروء إذ: "إن الصور المعقدة التي ندركها بحواسنا يتم ترجمتها من خلال المستقبلات الضوئية لشبكية العين ثم ترسل عبر العصب البصري... ويتم تحويلها إلى منطقة الإبصار" (بوزان، كتاب القراءة السريعة، صفحة 53) في المخ" إن المسؤول عن عملية القراءة فعلا هو هذا الفص البصري، فهو يوجه عينيك عبر الصفحة لتتلقى المعلومة التي يهتم بها عقلك." (بوزان، كتاب القراءة السريعة، صفحة 53)

إن تجليات انقرائية أنساق اللغة العربية مرتبطة باللغة المدركة فالقارئ يقوم بتفكيك الرموز المكتوبة بوساطة البصر ذلك أن: "القدرة التصويرية الفوتوغرافية للعين البشرية تزيد آلاف المرات عن أكثر آلات التصوير تقدما وتعقيدا، ولم يكتشف حتى الآن المدى المتكامل لقدراتها (بوزان، كتاب القراءة السريعة، صفحة 124) وما يهمنا في عملية الإبصار هي القدرة على إدراك المضمون أو محتوى النصوص في اللغة العربية؛ فالحروف كأشكال يدركها القارئ من خلال تفسيره للخط ونظرة متفحصة للنظام الجرافولوجي للعربية يؤدي بنا إلى رصد التفاعلات بين الحروف وبنيتها البصرية فهي ذات طابع هندسي الأمر الذي جعلها أقرب إلى الإدراك من غيرها ومن أمثلة ذلك حرف الجيم(ج)..إلخ، والمثير في الأمر هو أن هذه الحروف تدرك ككل

وبهذا يصبح النظام البصري/الإدراكي:" مثل شعاع الليزر في قدرته على التركيز والاستيعاب." (بوزان، كتاب القراءة السريعة، صفحة 196)

ولا يخفى على القارئ أن الأنساق النصية ترجمان لما في أذهان المؤلفين ولهذا يتعين علينا ألا نقف عند الصور المطبوعة بل علينا أن نتجاوزها إلى البحث عما وراء الرمز وخصوصياته التي نجدها في كل لغة طبيعية؛ و على هذا الأساس لابد أن نتوصل إلى سر انقرائية أنساق اللغة العربية وأبعادها في المجالات الإدراكية فالنص:" لا يقف عند حدود توظيف الأشكال البصرية الأيقونية فقط، بل يتجاوزها إلى استغلال الإمكانيات التعبيرية للغة المكتوبة." (الماكري، 1991، صفحة 10)

ومن الواضح أن انقرائية اللغة العربية من المنظور الإدراكي البصري تنسجم مع ما توصل إليه العلم في هذا المجال المعرفي؛ وقد تبين أن النظام الذي بنيت عليه العربية دقيق جدا فهو نظام أكسيومي(تراتبي) يدرك عند اتلاف وحداته وما اكتشف حديثا هو:" أن العقل الإنساني وبمساعدة العينين يمكنه أن يلتقط المعلومات بسهولة أكبر عندما تكون المعلومات مجمعة بصورة ملائمة وفي مجموعات ذات معنى" (بوزان، كتاب القراءة السريعة، صفحة 56) هذا دليل آخر على انقرائية أنساق اللغة العربية.

3.4.الوظائف السيكولوجية:(العاطفية والعقلية)

يربط الدارسون عادة الظواهر اللغوية بالوظائف السيكولوجية؛ نظرا لتقاطعها مع سائر الوحدات التي هي في الأصل كيانات صورية كامنة في النفس البشرية وبهذا أصبح الارتباط وثيقا بين اللغة وعلم النفس:" إن "فهم" الكلمات وبعض ما يتعلق بها من حيث تكوينها وسماعها مرتبط " بسلسلة من العمليات العقلية، والعضوية، والنفسية." (البيه، أطلس أصوات اللغة العربية، صفحة 141)

إن الإلحاح شديد في ربط أنساق اللغة (سواء كانت منطوقة أو مكتوبة) بالشق العقلي وحتى العاطفي والعلاقة بين هذه العناصر تتأكد عندما تتداخل فيما بينها لتشكل لنا نسيجا من العلاقات فمن تلك الموضوعات:" التي يستعين فيها علم اللغة بعلم النفس الكشف عن بعض "الحقائق" مثل موضوع العلاقات بين "الكلمة"

و"الصورة، (البيه، أطلس أصوات اللغة العربية، صفحة 142) أي بين الرموز المكتوبة وما تحيل إليه من دلالات في النفس.

أحجم كثير من الباحثين في مفهوم الانقرائية عن المسائل المتعلقة بالتأثير العقلي والعاطفي الموجود في أنساق اللغة العربية حتى عدت منقصة في حقها؛ في حين من يبحث يجد أنها الأقدر على التأثير في القارئ والأجدر بإقناع السامع؛ إذا ما أحسن توظيف أصواتها التي تتناغم لتشكل سنفونية متناسقة النوتات منسجمة الألحان؛ إنها:" "تتدرج و تتوزع" في مخارجها ما بين الشفاة والأنف من جهة والشفاة الصوتية بالحنجرة من جهة أخرى وعلى سبيل المثال فإن الباء(ب) مخرجها من الشفاة، والميم(م) مخرجها من الأنف، والهمزة(ء) مخرجها من الشفاة الصوتية، وتتدرج وتتوزع مخارج باقي الفونيمات العربية بينها في هذا "المدرج وهذا "يؤدي" إلى التوازن والتوافق والانسجام الصوتي والتآلف الموسيقي عند نطق فونيمات اللغة العربية." (البيه، أطلس أصوات اللغة العربية، صفحة 1452)

تجليات انقرائية أنساق اللغة العربية خاضعة للعامل العاطفي الذي يظهر في الاستمتاع والولوع بالمقروء والركون إليه عند الحاجة إلى الاسترخاء وهي عملية تتوارى خلفها منظومة ذهنية متكاملة تتشكل فيها عناصر الموسيقى وتتضمن أجزاء:" من وظائف المخ البشري، حيث توجد منطقة الاحساسات والانطباعات للعواطف الأساسية" المرتبطة" بالموسيقى في جزء من المخ، وتتصل "بنظام" الجهاز العصبي. (البيه، أطلس أصوات اللغة العربية، صفحة 180)

كما تمتاز أنساق نصوص اللغة العربية بسهولة الانقرائية:" فسيولوجيا وصوتيا "بتكوينها وتوزعها" في أوسع "مدرج صوتي" عرفته اللغات (البيه، أطلس أصوات اللغة العربية، صفحة 180) يعني أن هذه اللغة ذات طبيعة فطرية وإيحائية إنها مفعمة بالعواطف الموصولة بالعقل ولعل ذلك راجع إلى قربها من الواقع الذي عاش فيه مستعملوها مع تفاوت بسيط وهذه العناصر وغيرها هي أرقى ما يمكن أن تصل إليه لغة من اللغات.

إن الرسائل التي تملكها اللغة العربية لا تنحصر في الأصوات بل في كامل اللغة:" إن كل ما أضفاه الرمزيون على كلماتهم :"حياة، حيوية، أناقة، رشاقة إيحاء

وجدان، انفعال...) إنما هو بعض ما علق بالكلمة العربية عفو الفطرة في خصائص أحرفها تعبيرا عن معانيها، خصائص حسية وشعورية(وجدانية)، قد جاءت الكلمة العربية إرثا عن مراحل...فتحول كل حرف من حروفها بفعل تعامله مع الأحاسيس والمشاعر الإنسانية طوال آلاف الأعوام إلى وعاء من الخصائص والمعاني، فما أن يعيها القارئ أو السامع، حتى تشخص الأحداث والأشياء والحالات في مخيلته أو ذهنه أو وجدانيه". (حسن، خصائص الحروف العربية ومعانيها، 1998، صفحة 17)

4.4.الوظائف التداولية العرفانية:

انقرائية أنساق اللغة من المنظور التداولي هي متعلقة بالدرجة الأولى بكيفية استعمال نصوصها وتداولها في المجتمع والواقع أن انقرائية النص في اللغة العربية تعود إلى مجموعة من المعايير منها معايير المؤسسة الاجتماعية والمراد بها:" مجموعة مركبة من القيم والمعايير التي يعتمدها عدد محدد من الأفراد... وهي جميع الأنشطة التي تحكمها سلوكات استباقية متبادلة بين الذوات الاجتماعية المتفاعلة فيما بينها... ولكي تتحقق هذه الأنشطة المتبادلة يتوجب على كل ذات اجتماعية فاعلة أن تستفيد على المدى القصير من دورها الظرفي وأن تولي الأهمية على المدى الطويل لما يتطلبه نظراؤها من وظيفتها الاجتماعية." (R.Boudon, 1989, p. 109)

وهنا نطرح إشكالية هامة جدا هي علاقة الذهنيات باستخدام اللغة في الواقع الاجتماعي حيث ينطلق الفرد في قراءته للأنساق اللغوية للنصوص من تجاربه الاجتماعية والذهنية وهنا يمكننا أن نتحدث بالنسبة للغة العربية واللغات عامة على نوعين من الخبرة:" المفردات التي هي قوام المعجم أدلة لغوية إلى موجودات من خارج اللغة، قائمة إما في واقع المتكلم الواقعي الذي يدرك بالحس، وإما في واقعه الحقيقي الذي يدرك بالذهن، والواقع الواقعي هو الواقع الخارجي الذي تقع عليه الحواس، وأما الواقع الحقيقي فهو الواقع الذهني المستبطن." (مراد، مقدمة لنظرية المعجم، 1997، صفحة 118)

وتعد خصيصة النشاط الذهني في الواقع الاجتماعي من الوظائف التي لابد من الإشارة إليها في موضوع انقرائية الأنساق اللغوية ونهتم في هذا المقام باللغة التي

هي:" القالب الذي يصب فيه التفكير، وكلما ضاق هذا القالب واضطربت أوضاعه، ضاق الفكر واختل إنتاجه، وتعتبر "اللغة" من أهم مقومات المجتمع، وعوامل وحدته، ونموه الحضاري." (البيه، أطلس أصوات اللغة العربية، صفحة 136)

إذن اللغة وعاء للفكر بها يهتدى إلى البيان والتواصل عن طريق النص؛ وقد اتضح لنا مما سبق أن اللغة العربية بكل ما تحتويه من معان ضمنية أو صريحة يتداول بين المستعملين لاسيما بين القارئ العربي ومنتجي النصوص بهذه اللغة وهنا تجدر الإشارة إلى الجوانب العرفانية التي تستقر لدى القراء ولذا وجب عليهم:" امتلاك واكتساب المعرفة المتزايدة لعالمهم الحسي الاجتماعي، كما يجب عليهم أن يجمعوا بين معرفتهم اللغوية ومعرفتهم بالعالم لتكوين نماذج أو صور ذهنية للمعلومات التي وردت في النصوص، ويجب على القراء معرفة الكلمات المفردة وفهم العلاقات النحوية والدلالية بين الكلمات ودمج الأفكار في النص بالمعرفة السابقة للوصول إلى استنتاجات تساعد على دمج المعلومات الضمنية وفهمها وتعتبر العناصر اللغوية للنص–الكلمات والجمل– البنية الدقيقة للنص، بينما تشكل معلومات المحتوى أو مخطط المحتوى والتنظيم العام لهذا المحتوى البنية العامة للنص" (Perfetti, Sentences individual differences and multipke texts, 1997, p. 355)

5.4.الوظائف البيونورولوجية:

تدور جل المفاهيم والتصورات في مفهوم الانقرائية حول نسق النص وقارئه؛ وهذا أمر طبيعي إذا ما أخذنا في الحسبان الوظائف البيونورولوجية التي تشكل محورا مفصليا في اضطرابات القراءة لدى المصابين بالدسليكسيا حيث أبانت الاكتشافات الجديدة في هذا المجال عن أثر الذاكرة في انقرائية الأنساق اللغوية؛ والمتتبع لآخر الأبحاث يعرف جيدا أن المخ البشري على قدر كبير من التعقيد فمن الصعب جدا الوصول إلى كل مبادئ اشتغاله، وهو في كل الأوصاف نظام في غاية الدقة والضبط؛ إن خلايا المخ عند كل واحد منا:" تريليون خلية في مخه، ليس هذا فقط ولكن نظام التوصيل فيما بين هذه الخلايا يتشكل من عدد كبير جدا من وسائط التنظيم المتداخل والمتعاقب، وقد تم حساب هذه الأعداد بواسطة العالم الروسي "بيوتركيه أنوكين" متخصص تشريح

الأعصاب، فكان العدد النهائي عبارة عن واحد وأمامه عدد لا نهائي من الأصفار" (بوزان، كتاب القراءة السريعة، صفحة 22)

وانطلاقا مما سبق، فإن انقرائية أنساق اللغة العربية تعود إلى القارئ العربي من المنظور البيونورولوجي وليس لأمر آخر خارج هذا الإطار؛ إننا إذا ما حاولنا استقراء وتتبع نسبة القراءة في الوطن العربي لوجدناها ضئيلة وضئيلة جدا فنحن:" لا نستطيع قراءة شيء لا نعرفه؛ ويعني هذا أن المخ البشري يستطيع فهم النماذج المألوفة بالنسبة له فقط، فكلما زاد ما تعرفه عن نص ما قبل أن تبدأ في قراءته فعليا، كانت قراءة النص أكثر سهولة" (بوزان، كتاب القراءة السريعة، صفحة 32) وبما أن القارئ مقصر في المطالعة والقراءة فالأكيد أن نسبة الانقرائية ستأخذ المنحى التنازلي لا المنحى التصاعدي.

ليس هذا وحسب بل بالإضافة إلى الذاكرة يوجد الانتباه والتركيز وقد أسلفنا ذكرها في مواضع من هذا البحث، أضف إلى ذلك أن الانقرائية هنا تأخذ من التفكير نصيبا معتبرا ذلك أن:" كل ما نقوم به، ابتداء من تحريك عضلة أو التفكير العميق في أمر ما، يتضمن أداء وظائف غاية في التعقيد من الجهاز العصبي، ونفس الشيء يحدث إذا استثيرت الخلايا العصبية وتتكون هذه العملية من إشارات كهروكيميائية تمر عبر أحد النيورونات إلى الآخر: بسرعة فائقة وعبر موجات متعددة من الاتصالات، إن كل خلية عصبية لها جسم رئيسي يحتوي على معلومات جينية وراثية وكيمياوية، ومحور عصبي يدير وينظم النبضات العصبية الحيوية، وهناك أيضا أعداد من التفرعات العصبية الشجرية التي تحمل النبضات أو الدفعات العصبية وتستقبلها أو ترسلها من عضو الحس بشكل مباشر، أو من نيورون آخر في سلسلة ممتدة من الاتصالات، وهذا هو الأكثر شيوعا." (بوزان، كتاب القراءة السريعة، صفحة 315)

لا يختلف اثنان على أن الوظائف البيونورولوجية لها دورها في انقرائية الأنساق اللغوية باللغة العربية بالإضافة إلى غيرها من الوظائف الأخرى التي أظهر لنا البحث أنها تتناغم جمعها لتشكل لنا كلا متكاملا لغاية واحدة وهي تيسير انقرائية هذه اللغة الشريفة اللطيفة على حد تعبير القدماء من العرب؛ وذكرنا لهذه الوظائف لا ينفي وجود وظائف

بيونورولوجية أخرى، بل على العكس من ذلك تماما وعلينا التفتيش عنها والعناية بدراستها وفهم أبعادها لنرتقي باللغة العربية ونرفعها إلى أعلى سلم المعرفة.

5. الاستنتاج:

بعد رحلة طويلة في مفاصل هذا الموضوع الذي يبحث في تجليات الأنساق اللغوية من خلال قراءة لسانية وبيونورولوجية في الوظائف اللسانية الغرافولوجية والوظائف الإدراكية البصرية و الوظائف التداولية العرفانية والوظائف البيونورولوجية؛ و بهذا نستنتج أن انقرائية الأنساق اللغوية متباينة المشارب متعددة المنظورات، و قد تأكدنا من صحة الفرضيات التي صغناها في مقدمة البحث؛ وانطلاقا مما توصلنا إليه من نتائج نقترح على الباحثين في الانقرائية أن يركزوا دراساتهم على المجال التعليمي لأنه عماد تداول اللغة العربية و الذي لم يتسع المقام لذكره.

6.**خاتمة:** تظهر لنا تجليات انقرائية الأنساق اللغوية التي اتخذنا فيها اللغة العربية أنموذجا للدراسة وقد توصلنا إلى النتائج التالية:

- تجليات الانقرائية في الأنساق اللغوية يستلزم دراسة أنساق اللغة العربية للنهوض بها نظرا لما تتفرد به عن غيرها من اللغات الأخرى لا سيما ما تعلق منها بالأصوات والوحدات المونيمية.
- الوظائف التي تسهم في انقرائة العربية تتطلب الغوص في العلوم البينية اللسانية والبيونورولوجية منها خاصة العلوم المعرفية التي تضطلع بدور كبير في الكشف عن توظيف واستعمال العربية في الواقع.
- انقرائية الأنساق اللغوية رأس البيان والفهم معا فلا استيعاب للمعاني دون انقرائية الرموز المكتوبة.
- أنساق اللغة العربية تتمتع بالعديد من المزايا التي تبوؤها مكانة عالية بين اللغات قاطبة.

7.قائمة المراجع:

-أيوب ,ن .(2000) .*التعبير منهجيته و تقنياته، دار الأهلية*، بيروت، ط1.

-بوزان. ت .(2007) .*كتاب القراءة السريعة*، مكتبة جرير، الرياض، ط6.

-حسن ,ع .(1998) .*الحروف العربية و معانيها*، اتحاد الكتاب العرب، دمشق.

-ربه. أ .ب .(1944) .*العقد الفريد*، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة، ج4.

-ريكور. ب .(2001) .*من النص إلى الفعل، أبحاث التأويل*،عين للدراسات والبحوث الإنسانية و الاجتماعية، القاهرة، ط1.

-مالك ,آ .ب .(1994) .مشكلة الخط العربي .*مجلة الآداب ,العدد.1*

-مراد ,إ .ب .(1997) .*مقدمة لنظرية المعجم*، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1.

- االماكري.م .(1991) .*المركز الثقافي العربي* .المغرب، ط1.

-*وفاء محمد البيه* .(1994) .*أطلس أصوات اللغة العربية* .القاهرة. الهيئة المصرية العلمية للكتاب، القاهرة، ط1.

-Edgar, D. (1949). *Readability.* Paris ,éd ERIC, Paris .

-James, F. (1995). *Histoire de l'ecriture.* Paris, ed Payot et Rivage, Paris, 4 ed.

-Perfetti. (1997). *Sentences individual differences and multiple texts three issues in text comprehensio discourse processes, Paris.*

-R.Boudon. (1989). *Dictionnare de sociologie, ed Larousse, Paris.*